

OPEN ACCESS

IRJAIS

ISSN (Online): 2789-4010

ISSN (Print): 2789-4002

www.irjais.com

## مظاهر الحياة العقلية والأدبية في الشعر العباسي

### Manifestations of intellectual and literary life in Abbasid poetry

الأستاذ الدكتور حامد أشرف همداني

رئيس قسم اللغة العربية، جامعه پنجاب، لاهور

#### Abstract:

The Abbasid period is unanimously considered to be a golden era in the history of Arabic literature. In this period, Arabic literature with its different forms of prose and various genres of verse was in full bloom. This article deals with different phenomena of rational as well as literary life of the Arabs, in the light of poetry composed in Abbasid period. The mutual confrontation of the Allavid and the Abbasid, tribal and national dispositions and tendencies, literary discussions of poets, battles, translations, influence of other culture, pedagogic poetry, innovation in meter and rhyme are the topics of import which can rightly be called basic components of rational and literary life of the Abbasid period.

**Keywords:** الدولة العباسية، بغداد، المأمون، في العصر العباسي

عاشت الدولة العباسية ما يقرب من خمسة قرون، فقد قامت سنة ١٣٢ للهجرة. وقضى عليها المغول حين سقطت بغداد عاصمة الخلافة سنة ٦٥٦ للهجرة، وكان لهذا العمر الطويل تأثير في تنوع الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية خلاله.

وقد اتفق معظم مؤرخي الأدب على تقسيم حكم الخلافة العباسية إلى فترتين زمنيتين وعصرين أدبيين: اصطلاح على تسمية الأول: العصر العباسي الأول ويبدأ من قيام الخلافة إلى عهد المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ) والثاني: العصر العباسي الثاني، ويبدأ بخلافة المعتصم بالله سنة ٢٣٢ هـ إلى سقوط الخلافة سنة ٦٥٦ للهجرة. وكان الدافع إلى هذا التقسيم اختلاف ملامح الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية في العصر الأول عنها في العصر الثاني.

و يرى بعض مؤرخي الأدب أن العصر الثاني يمثل مرحلتين متميزتين: الأولى حين كانت السلطة مركزة في يد الخلفاء، والثانية حين ضعفت هذه السلطة، وانتزعها حكام الأقاليم والولايات المستقلة استقلالاً ذاتياً أو حقيقياً، و ظهر ذلك واضحاً من منتصف القرن الرابع الهجري، وإن بدأت حركات الاستقلال قبل ذلك بفترة قرن من الزمان-(١)



ويبرر المؤرخون هذا التقسيم بتأكيد اختلاف ملامح الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية في الفترة الأولى عنها في الفترة الثانية أيضاً. (٢)

اتسمت الحياة في ظل الدولة الأموية بالميل إلى البداوة، وغلبة الطابع العربي بشكل عام. وكانت الثقافة فيها تمضي في كنف الدين وما يتصل به من العلوم الدينية. أما في العصر العباسي فقد أصاب الحياة تغير كبير في كل نواحيها، وكان أبهم مظاهره ظهور العنصر الفارسي ثم التركي، و نهضة الثقافة بسبب الاتصال العلمي بالأمم الأخرى، وتلون الحياة الاجتماعية العباسية باللون الحضاري المترف. والشعر الحق هو الذي يكون صدى لما حوله، فكان لابد من أن تبرز في الشعر العباسي سمات تدل على أنه احتفظ بميزات من ماضيه، وأضاف إليه جديداً من حاضره، ولكي نقدم صورة مقارنة له ينبغي أن نذكر ما يأتي: نهضة الشعر وأسبابها

بلغ الشعر العربي في هذا العصر درجة عظيمة من الرقي والازدهار، ومن أسباب هذه النهضة:

- ١- تقدير الخلفاء للشعر والشعراء.
- ٢- الامتزاج القوي بين أبناء الأمة و ظهور جيل جديد يتميز بصفات عقلية جديدة، ولا عجب أن نرى بعض شعراء هذا العصر ممن كانوا ينتمون إلى عنصر غير عربي.
- ٣- الرقي الحضاري الذي عاشت الدولة في ظله، و تمتع فيه الشعراء بجمال الطبيعة ومباج الحياة، وما أبدعته يد الصنعة من القصور والحدائق.
- ٤- الثقافة الواسعة عن طريق التأليف والترجمة و عن طريق مجالس العلم والأدب. كل ذلك كان له أثره الواضح في أغراض الشعر و معانيه و أخيلته، وفي ألفاظه، و أوزانه. (٣)

وإن الشعراء المشاهير الذين تولوا قيادة الشعر في هذا العصر اهتموا اهتماماً عظيماً بتصوير الحياة العقلية والوجدانية التي شملت ذلك العصر ولم يقفوا عند جمال الصياغة وزخرفة الألفاظ والتعابير، بل اشتركوا في الأزمت العقلية والمجادلات الحزبية والدينية في الحدود التي سمحت بها ظروف الشعراء الفنية والشكلية من وزن وقافية وغير ذلك، وسننظر هنا كيف شغلوا بما كان يجري لعهدهم من الفتن السياسية والاجتماعية.

وسنتناول فيما يلي أهم مظاهر الحياة العقلية والأدبية في الشعر العباسي ونجملها كالتالي:

- ١- الصراع السياسي بين العلويين والعباسيين
- الغرض الجديد الذي برز في عصر بني أمية هو الشعر السياسي، وبولون من الشعر فيه تعصب مذهبي يختلط فيه المدح والفخر والحماسة والهجاء والإقذاع. وكان الباعث عليه تعدد الأحزاب السياسية، واتخاذ كل حزب منها شعراء يدعون له، وينشرون مبدأه ودعايته.

فالأخطل (المتوفى سنة ٩٥هـ) و جرير (المتوفى سنة ١١٤هـ) وغيرهما يدعون لبني أمية . و أبرز شعراء العلويين الكميت بن زيد (المتوفى سنة ١٢٦هـ) . ومن شعراء الزبيريين عبيدالله بن قيس الرقيات (المتوفى سنة ٧٥هـ) . أما الخوارج فشعراؤهم كثيرون ومنهم قطري بن الفجاءة (المتوفى سنة ٧٨هـ) ، و عمران بن حطان (المتوفى سنة ٨٤هـ) ، والطرماح بن حكيم (المتوفى سنة ١٠٠هـ) . (٤)

وظل الشعر السياسي يؤدي وظيفته في العهد العباسي، وإن لم يبلغ ما بلغه في العصر الأموي لأن أسبابه كانت آنذاك أقوى .

وقد انتقلت خصومة العلويين من الأمويين إلى العباسيين، فإن هؤلاء كانوا أقسى عليهم من الأمويين . وكان العلويون يرون أنهم أحق بالخلافة لأنهم أبناء الرسول ﷺ ، إذ أنهم أبناء فاطمة الزهراء - رضي الله عنها- فيرد عليهم دعاة العباسيين والمدافعون عنهم بأن قرابة العباس رضي الله عنه من النبي أقوى من قرابة علي رضي الله عنه ، وأن الأعمام أولى بالميراث من أبناء البنات . (٥)

ولقد كان الطالبيون شغل بني العباس الشاغل، وظلوا يتحينون الفرص لإقامة دولتهم . وكان أول صدمة لقمها العباسيون من هؤلاء خروج محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية على أبي جعفر المنصور ولكن هذا قضى عليه . ثم ظل العلويون يخرجون والعباسيون يقضون عليهم . (٦)

ولقد تركت هذه الأحداث المتتابة أثراً واضحاً في الحياة الأدبية فمن ذلك نجد قوة الحزب الشيعي ممثلة في أشعار كثير منهم . يقول السيد إسماعيل بن محمد الحميري (١٠٥-١٧٣هـ) - (٧)

|                        |                          |
|------------------------|--------------------------|
| ألا إن الأئمة من قريش  | ولادة الحق أربعة سواء    |
| علي والثلاثة من بنيه   | هم أسباطه والأوصياء      |
| فسبط سبط إيمان وحلم    | وسبط غيَّبته كربلاء      |
| وسبط لا يذوق الموت حتى | يقود الخيل يقدمها اللواء |

فمن يقرأ أبيات الحميري هذه وغيرها من أشعار الشيعة يدرك جيداً كيف كانت العصبية للشيعة قوية حادة في ذلك الوقت، وكيف تشبعت عقول بعض الشعراء بالمعاني البديعية في محاوراتهم العقلية حتى إن شتم علي بن أبي طالب فوق المنابر زمناً ما شك أنصاره يوماً في وصيته ووصية أبنائه من بعده على الخلافة .

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن السيد الحميري كان أكثر شعراء القرن الثاني تمجيداً لعلي وبنيه، فقد أنفق حياته في نظم أخبارهم ومناقبتهم، ويقول ابن المعتز (٢٤٩-٢٩٦هـ) إنه لم يترك

فضيلة معروفة لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلا نقلها إلى الشعر، وقد كَرَّرَ طويلاً ما تدّعيه الشيعة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى له بالخلافة من بعده عند غدير خمّ بين مكة والمدينة، وفيه يقول:

أقسم بالله وألائه والمرء عما قال مسؤول  
إن عليّين أبي طالب على التقى والبرّ مجبول  
ولعل أطول قصائده الشيعية قصيدته التي تسمى المذمبة، وقد عُني بها الشيعة وشرحوها مراراً. (٨)

وعلى هذا النهج ساردعل الخزاعي (١٤٨-٢٥٣هـ) في مناصرته لآل البيت، إذ نراه يصور ما نزل بالعلويين من كوارث في كربلاء، باكياً قتلاهم واصفاً حرمانهم من حقهم في الخلافة في القصيدة التي مطلعها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات  
وفيها يقول:

ملاكم في آل النبي فإنهم أحبا ي ما عاشوا وأهل ثقاتي  
فيا رب زدني في يقيني بصيرة وزد حبهم يا رب في حسناتي  
ألم تر أنني من ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات  
أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات  
ولو لا الذي أرجوه في اليوم أوغد تقطع قلبي خلفهم حسرات  
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات  
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي عن النعماء والنفقات (٩)

وفي هذه القصيدة معلومات مؤسسية عما لقيه العلويون من المحن والمصائب التي كانوا يتلقونها صابرين من خصومهم العباسيين الذين أصروا على إبادتهم من الوجود.

أما مروان بن أبي حفصة (١٠٥-١٨٢هـ) فهو شاعر العباسية ولسانهم السياسي استطاع أن ينظم الشعر دفاعاً عن النظرية العباسية في وراثة الخلافة، إذ عمد إلى الدفاع عن حقوق العباسيين في الخلافة والرد على العلويين وما يدعونه من هذه الحقوق، ولعل شاعراً لم يبلغ في هذا الدفاع مبلغه، إذ كان يعرف كيف ينقض على العلويين بالحجة القاطعة على نحو ما نرى في قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها  
أو تجحدون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من "الأنفال" آخر آيةٍ بترائهم فأردتم إبطالها(١٠)

وهو يريد بأية الأنفال قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾-(١١)  
يشير بذلك إلى حق العباسيين في وراثة الخلافة وأنهم مقدمون في هذا الحق على أبناء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء رضي الله عنها إذ العم مقدم على الأسباط في الوراثة، على نحو ما هو معروف في الشريعة الإسلامية .

ومن أحكامه لهذا الدفاع أبياته التالية التي يخاطب بها المهدي فيقول:

|                              |                                |
|------------------------------|--------------------------------|
| يا ابن الذي ورث النبي محمداً | دون الأقارب من بني الأرحام     |
| الوحي بين بني البنات وبينكم  | قَطَعَ الخصام فلات حين خصام    |
| ما للنساء مع الرجال فريضة    | نزلت بذلك سورة الأنعام         |
| أتى يكون وليس ذاك بكائن      | لبني البنات وراثة الأعمام (١٢) |

فهو يشير بذلك إلى حق العباسية في الخلافة، وهم مقدمون في زعمه على أبناء بنت الرسول إذ العم مقدم على السبط في الوراثة على نحو ما هو مقرر في نظام الإرث .  
ولقد ثبت لدى مؤرخي الأدب أن هذه القصيدة وقعت على العلويين موقع الصاعقة، فاضطربوا لها اضطراباً شديداً، واشتد سخطهم على مروان بن أبي حفصة وأضمرؤا له العداة وأظهروا له اللعنة، وما زالوا به حتى قتلوه (١٣) .

ومن هنا يتضح أن مثل هذه الأشعار كانت ولا زالت توضح كثيراً مما غمض من تاريخ الأمة الإسلامية، فالشعراء ينتسبون إلى أحزاب يدافعون عنها تتاح لهم فرص كثيرة تبصرهم بما خفي من تاريخ من يناصرونهم ومن يعادونهم على الرغم من أنهم متهمون في مدح من يرضون عنه وذم من يخرجون عليه .

## ٢- النزعة الشعبوية

نادى الإسلام في قوة بهدم الفوارق العصبية للقبائل والفوارق الجنسية للشعوب، حتى يسود الوئام بين أفراد الأمة الإسلامية، فلا عدناني ولا قحطاني ولا عربي ولا أعجمي، إنما هي أمة واحدة يتساوى أفرادها في جميع الحقوق ولا تفاضل فيها إلا بالتقوى والعمل الصالح، يقول جل شأنه: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (١٤)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم"(١٥)

وهذا بلا ريب مثل أعلى أرادته الإسلام لأمته، غير أنا لا نصل إلى عصر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما نشب لعهد من حرب صقيين حتى نرى العصبية القبلية تعود جذعاً بين القبائل، وكأنهم لم ينسوا حياتهم القديمة، بل لقد اضطرت اضطراباً لم تهدأ ثائرة طوال عصر بني أمية. وقد مضى الأمويون ينحرفون عن جادة الدين في معاملة الموالي، فهم يرمقونهم بكثرة الضرائب، وهم لا يسوون بينهم وبين العرب في الحقوق، إلا ما كان من عمر بن عبدالعزیز، ولكن مدة حكمه كانت قصيرة، فلم يؤت عمله في هذا الجانب أي ثمرة.

وكانت هذه المعاملة السيئة للموالي سبباً في اضطغانهم على العرب، أو بعبارة أدق على الدولة الأموية، فشاركوا الخوارج والشيعة في الثورة عليها، والتفتت منهم جماعات كثيرة حول أبي مسلم داعية العباسيين بخراسان، وما لبثوا أن زحفوا في جيش ضخم أدالوا به للعباسيين من الأمويين وللفرس من العرب إدالة نفذوا في أثناءها إلى مناصب الدولة العباسية العليا، بحيث كان منهم أكثر القواد وأكثر الولاة، وخاصة حين استولى على أزمنة الحكم البرامكة في عهد الرشيد وبنو سهل في عهد المأمون.

وكان ضغط الأمويين على الموالي و احتقار الولاة وكثير من أفراد الأمة العربية لهم كان ذلك سبباً في نشأة حركة معادية للعرب تعرف في التاريخ باسم "الشعوبية" وهي نزعة ظهرت في أول الأمر تنادي بالتسوية بين العرب وغيرهم من الأمم، ولكن ما لبثت أن تحولت إلى الحط من شأن العرب، والطمع في أخلاقهم وآدابهم، والتنويه بفضائل الفرس وغيرهم من الشعوب التي كانت لها حضارة قديمة وقد ألفت كتب أخرى في فضائل الفرس وغيرهم من الأمم غير العرب، وقد كان لهذه "الشعوبية" شأن في تاريخ الأدب العربي، كما كان لها شأن وأي شأن في السياسة العربية في العصر العباسي.

فإلى جانب الجدل العنيف الذي كان ينشب كل يوم بين العلويين والعباسيين والعداوات التي كانت تقوى وتشتد كلما أثرت ذكرى الخلافة - ونراها ممثلة في فيض من الآثار الفنية الشعرية في ذلك العهد- كانت تقوم فتنة أخرى هي الخلاف بين العرب والعجم، وانقسام الشعراء إلى فريقين، فريق يفضل العرب، وآخر يفضل العجم، وهي فتنة كانت بسبب أطماع الموالي وأنصار الفرس في دولة الخلافة، وظلت هذه الأطماع تزداد وتقوى بفضل الجهود المتصلة التي كان يبذلها الوزراء العباسيون لكبح النفوذ العربي راجين أن ينتقل إليهم النفوذ الأدبي والسياسي والمادي جميعاً. (١٤)

وأهم شاعر في العصر أوقد نيران هذه الخصومة الشعوبية وظل يمدحها بحطب جزل من أشعاره بشار بن برد (٩٥-١٦٧هـ) وكان فيعصر بني أمية يكثر من الفخر بمواليه من قيس، حتى إذا حدث الانقلاب العباسي انقلب معه يتبرأ من العرب وولانهم ناسباً ولأه إلى الله ذي الجلال،

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى العُريبِ فخُذ بفضلك فافخر  
وقد مضى يشن حرباً عنيفة على العرب، ولبشار بن برد رائية في الفخر بفارسيته- تمثل  
بعضاً من تلك المناوشات التي كانت تحدث - يفضل فيها العجم على العرب بل على سائر الأمم،  
ويبرر فيها عبوديته التي جاءت نتيجة الأسر، والأسر لا عيب فيه ولا يعيب عظماء الرجال، فكم  
من عظيم وقع في الأسر ولم ينقص ذلك من عظمته وكبريائه، فقد ينهزم العظيم ولكنه لا يضعف  
ولا يسقط، يقول بشار(١٨).

|                            |                         |
|----------------------------|-------------------------|
| سأخبر فاخر الأعراب عني     | وعنه حين بارز للفخار    |
| أنا ابن الأكرمين أباً وأما | تنازعني المرازب من طخار |
| أسرت وكم تقدم من أسير      | يزين وجهه عقد الأسار    |
| ككعب أو كبسطام بن قيس      | أصيباً ثم دنسا بعار     |
| فكيف ينالني مالم ينلهم     | أعد نظراً فإن الحق عاري |
| إذا انقلب الزمان علا بعد   | وسفل بالبطريق الكبار    |

ويقول مهاجماً العرب:

|                         |                               |
|-------------------------|-------------------------------|
| أحين لبست بعد العرى خزا | ونادمت الكرام على العقار      |
| ونلت الشبارق والقلايا   | وأعطيت البنفسج في الخمار      |
| تفاخر يا ابن راعية وراع | بني الأحرار حسبك من خسار (١٩) |

ويسير بشار على هذا النمط إلى أن يختم قصيدته مؤكداً شعوبيته محاولاً أن يطلق على

خصومه سهامه المسمومة من خلال الموازنة التي عقدها بين خشونة البدو وحضارة الفرس .  
ويأتي أبو نواس (١٤٥-١٩٩هـ) من بعده ليسير في نفس الطريق إلا أن انغماس أبي نواس  
في الملذات الحاضرة وتأثره بالمجون القائم في ذلك العصر جعل موازنته تقوم على الموازنة بين  
خشونة البدو الأعراب وبين المجون السائد في المجتمع محاولاً بذلك تغطية نزعتة الشعوبية  
يقول(٢٠):

|                             |                              |
|-----------------------------|------------------------------|
| عاج الشقي على رسم يسائله    | ورحت أسأل عن خمارة البلد     |
| يبكي على طلل الماضين من أسد | لا درّ درّك قل لي من بنو أسد |
| كم بين ناعت خمر في دساكرها  | وبين باك على نُويٍ ومنتضد    |
| دع ذا، عدمتك، واشربها معتقة | صفراء تفرق بين الروح والجسد  |

وكان الخريمي (أبو يعقوب إسحق بن حسان، المتوفى سنة ٢١٤هـ) الشاعر المشهور يكثر في شعره من الاعتزاز بالنسب الفارسي والتحقيق من شأن العرب فيقول:

إني امروءٌ من سِرة الصغد ألبسي عِرْقُ الأعاجم، جِلْدًا طَيِّبَ الْخَبْرِ (٢١)  
ويقول:

وناديت مروٍ وبلغِ فوارساً لهم حسب في الأكرمين حَسِيبُ  
فياحسرتا لا دارٌ قومي قريبة فيكثر منهم ناصري ويطيب  
وإن أبي ساسانُ كسرى بَنُ مُرْمُزٍ وخاقانُ لي لو تعلمين نسيبُ  
ملكنا رقاب الناس في الشرك، كُلُّهُمْ لنا تابع طوع القياد جنيبُ  
نسوئكمو خسفاً، ونقضي عليكمو بما شاء منا مخطيء ومصيبُ  
فلما أتى الإسلام وانشرحت له صدور به نحو الأنام تُنيبُ  
تبعنا رسول الله حتى كأنما سماء علينا بالرجال تصوَّبُ (٢٢)

على أن أبا يعقوب إسحق بن حسان الخريمي يسلك في بعض شعوبياته مسلك من يحتاج بالدين وأنه لا فخر إلا فوقه الدين والعقل، وأن لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى مخاطباً جُمْلَ ويقصد بها العربية وأهلها، يقول (٢٣).

أبا الصغد بأس إذ تعيرني جُمْلَ سفاهاً ومن أخلاقٍ جارتِي الجهْلُ  
فإن تفخري يا جُمْلُ، أو تتجَمَّلِي فلا فخرَ إلا فوقه الدين والعقلُ  
أرى الناس شرعاً في الحياة ولا يرى لقبُ على قبرِ عَلاء ولا فضل  
وما ضرَّتِي أن لم تلدني يُحابر ولم تشتمل جَرم علي ولا عُكْل  
إذا أنت لم تحمِ القديم بحادث من المجد لم ينفعك ما كان من  
قبلُ (٢٤)

ويقول المتوكلي وكان من ندماء المتوكل:

أنا ابن الأكارم من نسلِ جَمٍّ (٢٥) وحائز إرث ملوك العجم  
ومحيي الذي بادَ من عَزَمَم، وَعَقَى عليه طوال القَدَم  
وطالبُ أوتارهم جَهْرَةً فمن نام عن حقهم لم أنم  
معي علمُ الكابيان (٢٦) الذي به أرَتجي أن أسود الأمم  
فقل لبني هاشم أجمعين، هلموا إلى الخلع قبل الندم  
ملكناكم عنوةً بالرما ح طعنأ وضرباً بسيف حَيزم



وأولاًكم الملك أبونا، فما إن وفيتم بشكر النعم  
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز لأكل الضَّبَاب، ورعي الغنم  
فإني سأعلو سرير الملوك بحد الحسام، وحرف القلم(٢٧)

والذي يهمننا في مثل هذه الأشعار إنما هو تقرير ما تمثله في ذلك العهد من الشقاق الذي كان يثور بين العرب والفرس من حين إلى حين، وذلك الخلاف له قيمته الحيوية التي كان يحسها رجال الأدب لذلك العهد، فقد كانوا يمثلون طوائفهم وأمهم بذلك الدفاع الذي كان يفيض حياة وقوة، وكان يحتوي أحياناً على مباحث جيدة في سياق الفضائل النفسية والاجتماعية والأدبية التي تنصف بها الأمم والشعوب ومما يتصل بسلوك الناس، ويظهر أنهم كانوا يميلون إلى الصراحة المطلقة في كل شيء وبخاصة فيما يتعلق بنعيم العقل والحواس، فما كانوا يخفون أغراضهم بالرضى والإشارة وإنما كانوا يصرحون بما يحبون الخوض فيه، فكان من ذلك أن أكثروا من الأشعار في تهادي الخمر ووصف مجالس الشراب واللهو وصفاً مغرياً لا يترك هفوات الشباب ولا جرائم السكر بدون تصوير، وعرضوا للجمال الحسي في الغلمان فوصفوه وصفاً جارحاً مما لا يستساغ اليوم عندنا، ومن أئمة هذا المنزع أبو نواس والقرطاسي وأبو العتاهية (١٣٠-٢١٨هـ) وزُر الرِّفاء وغيرهم كثير، وكتب الأدب مملوءة بهذه الأشعار من أمثال كتاب الأغاني وطبقات الشعراء لابن المعتز وبيتيمة الدهر للثعالبي، وكتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي وغيرها .  
والذي يقرأ هذه الكتب لا يقروها بدون أن يدesh من حب أولئك الشعراء لتصوير لذات الحياة، وأنهم لم يكونوا في الأغلب رجال حشمة ووقار، وإنما كانوا يفضلون الصراحة العابثة فيما يقولون وما يعملون .

### ٣- الخصومات الفنية بين الشعراء

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات الفنية التي قامت بين الشعراء، وذلك التهاجي الذي كان يحدث بينهم . وهو ناشىء من أطماعهم المادية فكانوا يتنافسون أمام القادة والأمراء طمعاً في التفوق الذي كان محل الحظوة عند الحكام والرؤساء .  
من ذلك ما حدث بين بشار بن برد وبين عقبة بن ربيعة بن العجاج حيث دخل بشار على مجلس عقبة بن سلم الهنائي، فوجد ابن ربيعة ينشد أرجوزة على مسمع ابن سلم الهنائي فأظهر إعجابه بها . فقال له عقبة بن ربيعة: يا أبا بصير هذا طراز لا يحسنه أنت ولا نظر اوك من الشعراء . فغضب بشار وقال له: أمثلي يقال هذا؟ والله إني لأشعر منك ومن أبيك ومن جدك، وذهب إلى بيته مغاضباً، وفي الصباح غدا على عقبة بن سلم الهنائي بأرجوزة يقول فيها(٢٨):  
يا طلل الدار بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدي  
وفيها يقول:

الحرّ يُلحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد  
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقعة في جلدي

فأعجب به عقبة بن سلم، وقال لا بن روبة: والله ما قلت أنت ولا أبوك ولا جدك مثل هذا، ووصل بشاراً وأجل له في العطية وكان أصحاب الملك والرياسة يتنافسون في تقريب الأدباء والشعراء فهم يمثلون في نظرهم الجانب الدعائي، وعن طريقهم يحصلون على الدعاية والشهرة إذ كانوا يدافعون عنهم أحياناً كما تفعل الصحف اليوم في تأكيد السياسات المختلفة، وإبراز الشعارات التي تتبناها الأحزاب والمنظمات والفئات المتباينة .

وهما هو أبو تمام (المتوفى سنة ٢٢٨هـ) يقوم بهجاء دعبل الخزاعي بطلب من أبي نُضير بن حميد الطوسي . ومفاد القصة أن أبا نُضير قصّر في ترضية دعبل الخزاعي عندما مدحه دعبل بقصيدة . فقام دعبل بهجائه حيث يقول(٢٩):

أبا نُضير تخلخل من مجالسنا فإن فيك لمن جارك منتقصاً  
أنت الحمار حروناً إن وقعت به وإن قصدت إلى مربوعه قمصا  
إني هزرتك لا آلوک مجتهداً لو كنت سيفاً ولكنني هزرت عصا

فوقعت هذه الأبيات من ابن حميد موقعاً سيئاً، فشكاه إلى أبي تمام فرد عليه أبو تمام بهجوه قائلاً:

أدعبل إن تناولت الليالي عليك فإن شعري سم ساعه  
وما وفد المشيب عليك إلا بأخلاق الدناءة والرقاعة  
ووجهك إن رضيت به قديماً فأنت نسيج وحدك في الوضعاء  
ولو بدلت وجهاً بوجهي لما صليت يوماً في جماعه  
ولكن قد رزقت به سلاحاً لو استعصيت ما أدبت طاعه  
مَنَاسِب طيء قسمت فدعها فليست مثل نسبك المشاعه  
وَرَوَّح منكبيك فقد أعيدا حطاماً من زحامك في خزاعه(٣٠)

وفي البيت الأخير صورة حركية جميلة يصوره فيها مزاحماً آل خزاعة محاولاً حصول شرف بنسبته إليهم ولكنه يطلب منه أن يريح منكبيه من هذا الزحام الشديد، فهو يطلب شيئاً ليس من أهله فالأولى به أن يريح ويستريح .

وتظهر روح المنافسة عند دعبل الخزاعي والحسد الذي كان يغيض قلبه عن أبي تمام وذلك فيما رواه عون بن محمد، حيث قال شهدته عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبي تمام فاعترضته عصابة الجرجاني، وقال اسمع مني ما قاله أبو تمام فإن أنت رضيته فذاك وإلا وافقتك

على ما تدمه منه وأنشد قوله (٣١):

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| ومغنى عفا منه مصيف ومرجع   | أما أنه لو لا الخليط المودع   |
| وتفتاده من جانبه فيتبع     | هو السيل إن واجهته انفذت لوعة |
| ولم أرضراً عند من ليس ينفع | ولم أرزفعاً عند من ليس ضائراً |
| معاد لنا قبل الممات ومرجع  | معاد الورى بعد الممات وسيه    |

فلما وصل عصابة الجرجاني إلى هذا البيت قال له دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل، ولكنكم ترفعونه فوق قدره، وتقدمونه على من يتقدمه، وتنسبون إليه ما قد سرقه، فقال له عصابة: إحسانه صبرك له عاتباً، وعليه عائباً (٣٢):

وأهم ليقة غمس فيها الشعراء هجاء هم ليقة الاستخفاف والتهوين والتحقير، وقد استمد منها حماد عجرد (المتوفى سنة ١٦١هـ) كثيراً حين استطار الهجاء بينه وبين بشار من مثل قوله (٣٣):

|                    |                     |
|--------------------|---------------------|
| وأعنى يشبه القرد   | إذا ما عَمِي القرد  |
| ذني لم يرح يوماً   | إلى مجدٍ ولم يغد    |
| ولم يحضر مع الحضاً | ر في خيرٍ ولم يبذ   |
| ولم يُخش له، دَم   | ولم يُرَج له حَمْدُ |

ويقال إن بشاراً حين سمع هذه الأبيات بكى من شدة إيلامها لنفسه، فقال له قائل أ تبكي من هجاء حماد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه، ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه . وأتاه من باب جديد ألهمته به الحضارة وما يأخذ به أهل الحضارة أنفسهم من النظافة والتعطر، فوصفه بالقذارة والدنس في أبيات لعلها كانت أشد إيلاماً وأوجع وخزاً لنفسه من الأبيات السابقة، إذ يقول (٣٤):

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| نهاؤه أخبث من ليله          | ويومُه أخبث من أمسه        |
| وليس بالمقلع من غيّه        | حتى يوارى في ثرى رَمْسِه   |
| ماخلق الله شبيهاً له        | من جيّه طراً ومن إنسه      |
| والله ما الخنزير في نَتْنِه | برُبعه في التَّنِ أو حُمسه |
| بل ريحه أطيب من ريحه        | ومُسّه ألين من مَسِه       |
| ووجّهه أحسن من وجهه         | ونفسه أنبل من نفسه         |
| وعودُه أكرم من عودِه        | وجنسُه أكرم من جنسِه       |

يقول الجاحظ (١٦٣ ٢٥٥هـ): "وأنا - حفظك الله تعالى - أستظرف وضعه الخنزير بهذا

المكان في هذا الموضع حين يقول: (وعوده أكرم من عوده) وأي عود للخزير قبَّحه الله تعالى وقبَّح من يشتهي أكله". (٣٥)

يقول الدكتور شوقي ضيف: "فإن الهجاء لم يضعف بسبب التنافس الشديد بين الشعراء، وقد عمت فيه روح جديدة، إذ أخذوا يريشونه سهاماً مصممة. ويخيل إلى الإنسان أن أصحابه لم يتركوا مثلبة خلقية أو نفسية في شخص إلا صوروها، وكأنما يريدون أن يظهروا المجتمع منها، ولم يتورعوا أحياناً عن هجاء الخلفاء والوزراء، كلما رأوهم ينحرفون عن الجادة على نحو ما هو مشهور عن دعبل. وبذلك يصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح، فالمديح يرسم المثالية الخلقية لهذه التربية، والهجاء يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع الرشيد. وقد تبارى الشعراء في رسم معانيه، تارة يخزون وخزلاً، وتارة يطعنون طعنات قاتلة". (٣٦)

#### ٤- نشاط الترجمة والتأثر بالثقافات الأخرى

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية نشاط الترجمة في ذلك العصر حيث اتسعت قراءات الشعراء حتى شملت جميع الثقافات المعروفة حين ذاك من عربية وإسلامية وأجنبية كالهندية والفارسية واليونانية، واستطاع القراء أن ينهلوا من هذه العلوم دون أن يحجبها عنهم أحد: فحلقات المساجد تزدهم بالطلاب ودكاكين الوراقين تعرض كل ما يطلبه القراء من مختلف فروع المعرفة، ولكل شخص حريته في اختيار ما يريد من هذه العلوم والمعارف. وكان لهذا النشاط العلمي أثر في امتزاج الثقافة العربية بغيرها من الثقافات الوافدة فانمحت الأبعاد والفوارق بين الفكر العربي الخالص والفكر الأجنبي وظهرت بوادر الاختلاط في تنابع الشعراء، فأخذوا يمثلون حُكم الفرس ووصاياهم. يقول أبونواس (٣٧):

|                         |                        |
|-------------------------|------------------------|
| كنت من الحب في ذرى نيق  | أرود منه مراد موموق    |
| حتى ثناني عنه تخلق وا   | شي كذبة لقها بتزويق    |
| جبت قفا ما نمته معتذراً | منه وقد فزت بعد تخريق  |
| كقول كسرى فيما تمثله    | من فُرس اللص ضجة السوق |

فأبو نواس في البيت الأخير يظهر عليه انتفاعه ببعض حُكم وأمثال الفرس وذلك فيما يشير إليه من أن ضجة السوق تتيح الفرصة للسارق أن يسرق وذلك نظراً لانشغال الناس بالزحام والضجيج المتعالي من أصوات الناس فلا يفتن إليه أحد خلال هذا الظرف.

وقد مضى الشعراء منذ ظهور كتابي الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفع (١٤٢١هـ) يتأثرون بما نقله فيهما من تجارب الفرس وحُكمهم ووصاياهم في الصداقة والمثورة وآداب

السلوك والسياسة، ومن يرجع إلى بشار يجده يفرد للمشورة قطعة طويلة في إحدى مدائحه، يقول فيها:

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن  
برأى نصيحٍ أو نصيحة حازم  
ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً  
مكان الخوافي نافع للقوادم (٣٨)

وقد نقلت أمثال بزرجمهر الوزير الفارسي إلى العربية ودارت في كتب الأدب، وتمثل الشعراء كثيراً من معانيها البديعة، من مثل قوله: "إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق فإنها لا تفي، وإذا أدبرت عنك فأنفق فإنها لا تبقى" وقد أخذ بعض الشعراء وزاد عليه قائلاً (٣٩):

فأنفق إذا أنفقت إن كنت موسراً  
وأنفق على ما خيلت حين تُعسر  
فلا الجود يُفني المال والجَد مقبل  
ولا البخل يُبقي المال والجَد مُدبر  
ويقال إنه كان في ديوان صالح بن عبدالقدوس ألف مثل للعجم (٤٠)

والثقافة الأخرى التي تأثر بها الشعر العباسي هي الثقافة الهندية فقد لاحظ ابن قتيبة (٢١٣هـ) أن أبا نواس كان يتأثر ببعض أفكارها في أشعاره، من ذلك قوله في الخمر:

تُخِيرت والنجوم وَقَفَّ لم يتمكَّن بها المدائِرُ

يقول ابن قتيبة: "يريد أن الخمر تُخِيرت حين خلق الله الفلك، وأصحاب الحساب يذكرون أن الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في برج ثم سَيرها من هناك، وأنها لا تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها فيه، وإذا عادت إليه قامت القيامة وبطل العالم، والهند تقول إنها في زمان نوح اجتمعت في الحوت إلا يسيراً منها، فهلك الخلق بالطوفان، وبقي منهم بقدر ما بقى منها خارج الحوت" (٤١)

وينشد ابن قتيبة قول أبي نواس في بعض المغنين هاجياً:

قل لزميرٍ إذا حدا رشداً  
أقل أو أكثر فأنت مهذا  
سَخُنْتَ من شدة البرودة حَ  
تَّى صرت عندي كأنك النارُ  
لا يعجب السامعون من صفتي  
كذلك الثلج باردٌ حارٌ

ويلحق بقوله: "هذا الشعر يدل على نظر أبي نواس في علم الطبائع، لأن الهند تزعم أن الشيء إذا أفرط في البرد عاد حاراً مؤذياً، ووجدت في بعض كتبهم: لا ينبغي للعاقل أن يَغْتَرَّ باحتمال السلطان وإمساكه، فإنه إما شَرِس الطبع بمنزلة الحي إن وُطئت فلم تلسع لم يَغْتَرَّ بها فيُعَاد لوطنها، أو سميح الطبع بمنزلة الصندل الأبيض البارد إن أفرط في حَرِّه عاد حاراً مؤذياً- (٤٢) وأكبر الظن أن ابن قتيبة يريد ببعض كتبهم كتاب كليله ودمنة الذي ترجمه الفرس عن الهندية، ثم نقله ابن المقفع إلى العربية. (٤٣)

وكما اتصل العرب بالفرس والهنود اتصلوا كذلك باليونانيين اتصالاً ثقافياً، وأول ذلك

أن أحد أباطرة اليونان طرد في أوائل القرن السادس الميلادي جماعة من العلماء فنزحوا إلى المشرق، واتخذوا من بعض المدن ميداناً لنشاطهم العلمي، فاتصل بهم الفرس، وترجموا إلى لغتهم بعض معارف هؤلاء، وعرفهم العرب واتخذوا منهم أطباء ومترجمين، وعن هذين الطريقين اتصل الأدب العربي بالثقافة اليونانية، وهي ثقافة تشمل الطب والرياضة وعلوم الطبيعة والمنطق والفلسفة.

وقد ترجم في العصر العباسي الأول أكثر هذه الفنون، وأفاد العرب منها، وأثرت في عقولهم وفي آدابهم فظهرت في الأدب الأقيسة المنطقية والمعاني الفلسفية، بل وبعض الألفاظ الفلسفية كالجوهر والعرض، وتأثر النقد العربي في حقبة من هذا العصر تأثراً قوياً بكتب أرسطو، كما تأثر التعقيد في العلوم العربية بالمنطق اليوناني. ويبالغ بعض الباحثين المحدثين من العرب فيرجع إلى اليونان أكثر أصول النحو العربي والبلاغة والنقد. (٤٤)

ولارب في أن الثقافة اليونانية كانت تأثيرها في الشعراء أعمق وأبعد غوراً، بما فتحت أمامهم من أبواب الفكر الفلسفي وأبواب المنطق ومقاييسه وأدلتها، وما بعثت فيهم من محاولة استكشاف دفائن المعاني واستخراج دقائقها. وقد مضى كثير من الشعراء يزيدون محصولهم من تلك الثقافة، بل كان منهم من ألف في المنطق (٤٥)، حتى يشحذ ذهنه وأذهان الشعراء من حوله. وكان مما تُرجم لهم من تلك الثقافة مراثي فلاسفة اليونان للإسكندر المقدوني عند وفاته، وقد نقل منها أبو العتاهية أطرافاً إلى مراثيه (٤٦) في صديقه علي بن ثابت، من ذلك أن أحدهم وقف عند رأسه، وقال: سكنت حركة الملك في لذاته وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده، فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية قائلاً:

يا علي بن ثابت بان مَيَّ      صاحب جلٍّ فقدُهُ يوم بِنْتَا  
قد لعمري حكيت لي غُصص المو      ت وحرَّكتني لها وسكُنْتَا

وقال فيلسوف آخر: "الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس".

فتمثله أبو العتاهية في مراثية أخرى لصديقه على هذا النمط:

بكيتك يا علي بدمع عيني      فما أغنى البكاءُ عليك شَيْئَا  
كفى حزناً بدفئك ثم أني      نفضت تراب قبرك عن يديَا  
وكانت في حياتك لي عظات      وأنت اليوم أوعظ منك حَيًّا (٤٧)

فهذه بعض الشواهد وقد تعرض لهذا الموضوع بإسهاب شوقي ضيف في كتابه "تاريخ الأدب العربي" العصر العباسي الأول (٤٨) حيث بين أن هؤلاء الشعراء كانوا متأثرين تأثراً عميقاً بالثقافات المترجمة وبما كانوا يستمعون إليه من محاورات المعتزلة مما أثار في نفوسهم وعقولهم

كثيراً من المعاني والخواطر التي لا تكاد تحصى، ودفعهم إلى التطور بموضوعات الشعر الموروثة تطوراً نلمس فيه روح العصر وخصب الفكر ورقة الشعور .

#### ٥- الشعر التعليمي

وبهذا الغرض جديد في العربية ، وقد دعا إليه الرغبة في استظهار العلوم، وسهولة تعليمها للناشئين . ومن أوائل ما يلقانا من ذلك تحدث صفوان الأنصاري في أشعاره عن فضل الأرض وما تحمل من كنوز ومعادن كريمة(٤٩) ولا ريب في أن أبان بن عبد الحميد (المتوفى سنة ٢٠٠هـ) هو الذي عمل على إشاعة هذا الفن الشعري الجديد، فقد نظم فيه تاريخاً وفقهاً وقصصاً كثيراً، فأما التاريخ فنظم فيه سيرتي أردشير وأنوشروان، وأما الفقه فنظم فيه الأحكام المتعلقة ببابي الصوم والزكاة، وصنع قصيدة في مبدأ الخلق وضمنها شيئاً من المنطق، وأهم من ذلك كله أنه نظم في القصص كتاب كليلة ودمنة في أربعة عشر ألف بيت . وفي كتاب الأوراق للصولي قطعة كبيرة من منظومته الفقهية وقطع أخرى من نظمه لكليلة ودمنة، ونراه يستهلها بقوله(٥٠):

|                         |                          |
|-------------------------|--------------------------|
| هذا كتابٌ أدبٍ ومِحنه   | وهو الذي يدعى كليلة دمنه |
| فيه دلائل وفيه رشدٌ     | وهو كتاب وضعته الهندُ    |
| فوصفوا آداب كلِّ عالم   | حكايةً عن ألسن البهائم   |
| فالحكماء يعرفون فضله    | والسخفاء يشتهون مهله     |
| وهو على ذاك يسيرُ الحفظ | لَدَى اللسان عند اللَّفظ |

ويتأثره ابنه حمدان في هذا الضرب من الشعر التعليمي فينظم مزدوجة طويلة مسرفة في الطول يصف فيها الحب وأمله وطبيعته وصوره المختلفة . وعلى قبسٍ من عمل أبان ينظم أبو العتاهية مزدوجته التي سماها "ذات الأمثال" وهي كما يتضح من اسمها حكم وأمثال، ويقال إنها كانت تبلغ أربعة آلاف بيت . وقد أنشد أبو الفرج في ترجمته قطعة منها، ومن قوله في تضاعيفها(٥١):

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| حسبك مما تبتغيه القوتُ       | ما أكثر القوت لمن يموتُ     |
| لكل ما يؤذي - وإن قلَّ - ألم | ما أطول الليل على من لم ينم |
| ما انتفع المرء بمثل عقله     | وخيرُ ذخر المرء حسنُ فعله   |
| إن الفساد ضدهُ الصلاحُ       | وربَّ جدٍ جرَّه المُرَّاحُ  |

وقد أعجب أبو عثمان الجاحظ ببيت فيها وهو:

يا للشباب المرحِ النصابي روائح الجنة في الشبابِ

وكان يقول "إن له معنى كمنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن

ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل، وإدامة التكفير، وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه”(٥٢)

وظل هذا الفن قائماً حتى أتى علي ابن الجهم(٢٤٩١٩٠هـ) فعني بنظم مزدوجة في التاريخ تقع في أكثر من ثلثمائة بيت، جعلها في جزءين: جزء تناول فيه بدء الخليقة وتاريخ الأنبياء، وجزء تناول فيه تاريخ الإسلام والخلفاء، وربما تأثر في الجزء الأول بالقصيدة المنسوبة إلى أبان والتي قال الرواة عنها إنها كانت في بدء الخلق، أما الجزء الثاني وهو الخاص بتاريخ الخلفاء، فيعد سابقاً فيه فإن الشعراء من قبله لم يفكروا في نظم هذا التاريخ، ونراه حريصاً في مفتتح الجزء الأول على ذكر مصادره فيه إذ يقول، وقد بدأ بقصة خلق آدم:

|                          |                 |          |
|--------------------------|-----------------|----------|
| يا سائلي عن ابتداء الخلق | مسألة القاصد    | قصد الحق |
| أخبرني قوم من الثقات     | أولو علوم وأولو | هيئات    |
| تفرّغوا في طلب الآثار    | وعرفوا موارد    | الأخبار  |
| ودرسوا التوراة والإنجيلا | وأحكموا التأويل | والتزيلا |
| أن الذي يفعل ما يشاء     | ومن له القدرة   | والبقاء  |
| أنشأ خلق آدم إنشاءً      | وقدّ منه زوجه   | حواء(٥٣) |

وممن نظم في هذا الفن عبدالله بن المعتز، وله أرجوزتان، إحداهما في التاريخ وقد جعل محوراً تاريخ "المعتضد بالله" وقد تعرض فيها لما كان قبل المعتضد من فتن، ومن فساد الحياة السياسية والاجتماعية. ويمضي فيصف حال الناس، والتجار، والسادة، وما أصابهم من تسلط من أبناء الأتراك على الحكم، حتى يأتي إلى المعتضد فيصف ما كان من جهاده لأصحاب الفتن. والثانية في ذم الصبوح، وفيها يصور جمال البساتين والرياح تصويراً بديعاً ثم يذكر الأسباب التي من أجلها يكره الاصطباح، وهو شرب الخمر في الصباح.(٥٤)

ثم أتى ابن دريد(٣٢١٢٢٣هـ) وكان عالماً لغوياً كبيراً، ينظم الشعر ويحسنه، وله ديوان مطبوع، وقد عني بتضمين طائفة من أشعاره بعض المعارف، وأشهر ماله في هذا الباب مقصورته (٥٥) التي مدح بها عبدالله بن محمد بن ميكال والي الأهواز وابنه إسماعيل، وقد بنى قافيتها على الحرف المقصور وجعلها في نحو مائتين وخمسين بيتاً، ويقال إنه ضمّنها ثلث المقصور في اللغة-(٥٦)

ولابن دريد وراء هذه القصيدة قصائد أخرى تتضح فيها هذه الغاية اللغوية التعليمية، من ذلك قصيدته في المقصور والممدود(٥٧)، وقد اشتملت على سبع وخمسين كلمة مقصورة ومثلها ممدودة من نفس مادتها، وقد بدأها بما يُفتح أوله فيُقصّر ويُمد والمعنى مختلف من مثل قوله:



|       |       |     |       |       |        |         |
|-------|-------|-----|-------|-------|--------|---------|
| لا    | تركنن | إلى | الهوى | واحذر | مفارقة | الهواء  |
| يوماً | تسير  | إلى | الثرى | ويفوز | غيرك   | بالثراء |

وفي ديوانه قصيدة ملأها بالغريب، نظمها تحدياً لبعض علماء اللغة مورداً عليه طائفة كبيرة من ألفاظها الأبدية (٥٨)، وهي لذلك تضم إلى القصيدتين التعليميتين السابقتين، فغايتها هي الأخرى علمية أو تعليمية واضحة. وأيضاً في الديوان بجانب ما قدمنا ثلاث مقطوعات (٥٩) أودع في أولها ما يذكر من أعضاء الجسم ولا يؤنث، وفي ثانيها ما يؤنث ولا يذكر، وفي ثالثها ما يجوز فيه التذكير والتأنيث. وعلى هذا النحو سخر ابن دريد الشعر ليحمل مواد لغوية تعليمية بجانب ما حمل قبله من مواد تاريخية وغير تاريخية. (٦٠)

ثم تتابع الشعراء بعد ذلك ينظمون في هذين الغرضين (القصص والعلوم) حتى نظموا في العصور المتأخرة الجغرافيا والحساب. ولعل في كل ما قدمنا ما يصور النشاط العقلي والفني للشاعر العباسي وكيف كان يحرص على التجديد، فهو يشتق من الشعر القديم موضوعات جديدة لمقطوعاته وقصائده، ولا يكتفي بها، بل ما زال يكتشف موضوعات أخرى، تلهمه بها بيئته الحضارية وحياته العقلية الراقية، ولم يلبث أن اهتدى إلى الشعر التعليمي، وسجل فيه كثيراً من القصص والتاريخ والدين والعلم والحكمة.

#### ٦- التجديد في الأوزان والقوافي

في العصر العباسي كثرت أشكال القريض، فبالإضافة إلى القصيدة العمودية المتحدة في الوزن والقافية، ظهرت المزدوجات، مثل قصيدة أبي العتاهية ذات الأمثال، وكمزدوجة ابن وكيع التنيسي، وهي التي يصف فيها فصول السنة، ومنها قوله في الصيف:

|  |                                       |
|--|---------------------------------------|
| أَمَّا الْمَصِيفُ فَاسْتَمَعَ مَا فِيهِ  | مِنْ فَطْنٍ يُفْهِمُ سَامِعِيهِ       |
| فَصَلَ مِنَ الدَّهْرِ إِذَا قِيلَ حَضَرَ | أَذْكَرْنَا بِحِرِّهِ نَارِسَقَر (٦١) |

فكل بيت معقود بقافية واحدة في الشطر الأول والثاني، وهي تختلف عن قافية البيت الثاني، والثالث يختلف عنهما، وهكذا، فهو تنوع موسيقي. وفي هذا العصر وضع الشعراء "الدوبيت" وهو بيتان لهما قافية واحدة، كقول ابن الفارض (٥٦٧- ٦٣٢هـ):

|   |  |
|---|--|
| إِنْ جُزْتَ بِحَيٍّ لِي عَلَى الْأَبْرِقِ حَيٍّ | وَأَبْلُغْ خَبْرِي فَإِنِّي أَحْسَبُ حَيٍّ |
| قُلْ مَاتَ مُعْنَاكُمْ غَرَاماً وَجَوَى         | فِي الْحَبِّ وَمَا اعْتَاضَ عَنِ الرُّوحِ  |
| بشيء (٦٢)                                       |  |

ثم نشأت الخمسات والمسدسات والمسبعات والمثمنات، وهي قصائد ترتبط في ما بينها بقافية واحدة، ثم يأتي بيت من الوزن نفسه ولكن بقافية مختلفة تتفق مع مثيله، وتسمى المسمطات.

وإنما سمي هذا النوع مسمطاً من السمط وهو قلادة تنظم فيها عدة سلوك تجتمع عند

لؤلؤة أوجوهرة كبيرة، وكذلك كل دور في المسمط يجتمع مع الأدوار الأخرى في قافية الشطر الأخير-(٦٣) ومن أمثلة المسمط المربع خميرية لأبي نواس تتوالى على هذا النمط(٦٤):  
سلاف ديّ

كشمس دجن

كدمع جفن

كخمر عدن

طبيخ شمس

كلون ورس

ربيب فُرس

حليف سجن

يا من لحاني

على زماني

اللهو شاني

فلا تلمني

وواضح أنه بنى شطورها على تفعيلة واحدة . وكان شيوع المسمطات الخمسة أوسع من شيوع أختها المربعة، واشتهر بشار بنظمه لبعض الخمسات(٦٥)، ويقول الجاحظ إنه لم يكن أحد أقوى على صنع الخمسات من بشر بن المعتمر(٦٦)، وقد أنشد الدميّري لأبي نواس خمساً ختمه بهذا الدور(٦٧):

يا ليلةً قضيتها حلوه

مرتشفاً من ريقها قهوه

تسكر من قد يبتغي سكره

ظننتها من طيبها لحظه

يا ليت لا كان لها آخر

وكان هذا التنوع الموسيقي هو الممهّد لظهور فن الموشح في الأندلس، ولذلك يُعد فن الموشحات امتداداً طبيعياً للإبداع الشعري عند العرب، وليس محاكاة لأغاني شعبية إسبانية، وقد

شاعت المربعات والمخمسات في الأندلس قبل ظهور الموشح . -  
ويلاحظ في هذه المنظومات الشعرية وجود الوحدة في الموسيقى من ناحية، ووجود التنوع فيها من ناحية أخرى . (٦٨)

### الهوامش

- ١- مثل الدولة الطولونية في مصر والشام من ٢٥٤-٢٩٢ هـ ، والدولة الإخشيدية في مصر والشام من ٣٢٣-٣٥٨ هـ، والدولة الصفارية في خراسان من ٢٥٤-٢٩٠ هـ، والدولة الغزنوية من ٣٥١-٣٩٢ هـ، و دولة الأدارسة في المغرب الأقصى من ١٧٢-٣١١ هـ، و دولة الأدارسة في تونس من ١٨٤-٢٩٦ هـ، والخلافة الفاطمية في مصر من ٣٥٨-٥٦٧ هـ، و دولة الأندلس من ١٣٨ إلى سقوطها في ٨٩٦ هـ .
- ٢- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ، ج٢ ، ص ص ٣٣-٣٤ - زيدان، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية، ج٢، ص ص ٣١٧، ٣١٦ - و الفاخوري، حنا : الموجز في الأدب العربي وتاريخه ، ج٢ ، ص ص ١٦-٢٣ .
- ٣- راجع للتفصيل: السباعي البيومي: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ج٣ ص ص ٣٥١-٣٦٢ - ومحمود مصطفى : الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي ج٢ ص ص ٣٦٩-٣٧٤ .
- ٤- انظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، ص ص ٢٩١-٣٤٦ .
- ٥- انظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، ص ص ٢٦-٢٧ .
- ٦- راجع للتفصيل: المرجع نفسه ص ٢٦-٣٢ .
- ٧- المرجع نفسه ص ٣١١ .
- ٨- المرجع نفسه ص ٣١٢ .
- ٩- ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٢٦٧ .
- ١٠- طه حسين: من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول (القرن الثاني) ص ٣٠٣ - وشوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، ص ٣٠٠ .
- ١١- سورة الأنفال، الآية: ٧٥ .
- ١٢- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، ص ٣٠١ .
- ١٣- طه حسين: من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول (القرن الثاني) ص ٣٠٣ .
- ١٤- سورة الحجرات، الآية: ١٢ .
- ١٥- أحمد بن حنبل، الإمام: المسند، ج ٥ ص ٤١١ - والبيهقي: شعب الإيمان، باب في حفظ اللسان، فصل في حفظ اللسان عن الفخر بالأباء ج ٤ ص ٢٨٩ .
- ١٦- هذا: وتاريخ الشعوبية وأثرها وأثر الموالي في الأدب والثقافة مستوفى بالجزء الأول من كتاب ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٤٢-٧٥ .
- ١٧- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني ج ٣ ص ١٣٩ .
- ١٨- ديوان بشار ج ٣ ص ٢٢٩ .
- ١٩- المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٣١ .

- ٢٠- أبو نواس: الديوان ص ٢٤٦ .
- ٢١- ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ٥١٨ .
- ٢٢- أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ١ ص ٥٢ .
- ٢٣- ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ٥٢١ .
- ٢٤- يحابر، وجرم، وعكل: أسماء قبائل عربية .
- ٢٥- يزيد بجم: جمشيد ملك الفرس .
- ٢٦- الكابيان: نسبة إلى كابه (جاوه) حداد فارسي رفع علم الثورة .
- ٢٧- الحموي، ياقوت: معجم الأدباء ج ١ ص ٣٢٣- وأحمد أمين: ضحى الإسلام ج ١ ص ٥٢-٥٣
- ٢٨- ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٢٥ .
- ٢٩- الأصفهاني: الأغاني ج ٢٠ ص ١٢٩-١٣٠ .
- ٣٠- المصدر نفسه، ج ٢٠ ص ١٣٠ .
- ٣١- المصدر نفسه، ج ١٦ ص ٣٩٣ .
- ٣٢- المصدر نفسه، ج ١٦ ص ٣٩٣ .
- ٣٣- المصدر نفسه ج ١٤ ص ٣٢٩ .
- ٣٤- الجاحظ: الحيوان ج ١ ص ٢٤٠- والأصفهاني: الأغاني ج ١٤ ص ٣٣٠ .
- ٣٥- الجاحظ: الحيوان ج ١ ص ٢٤٠ .
- ٣٦- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، ص ١٦٧ .
- ٣٧- ابن قتيبة: عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٢ .
- ٣٨- الأصفهاني: الأغاني ج ٣ ص ١٥٦ وانظر ص ٢١٤ ، والفوائد: الريش الطويل في جناح الطائر، والخوافي: الريش القصير .
- ٣٩- ابن قتيبة: عيون الأخبار ج ٣ ص ١٧٩ .
- ٤٠- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، ص ١٤٩-١٥٠- وأحمد أمين: ضحى الإسلام ج ١ ص ١٣٣-١٣٤ .
- ٤١- الشعر والشعراء ص ٤٨١ .
- ٤٢- الشعر والشعراء ص ٤٨٣ .
- ٤٣- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، ص ١٤٨-١٤٩- وأحمد أمين: ضحى الإسلام ج ١ ص ١٧٢-١٧٣ .
- ٤٤- راجع للتفصيل: أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ١ ص ١٧٤-١٩٣ .
- ٤٥- الحموي، ياقوت: معجم الأدباء ج ١٧ ص ٢٧ .
- ٤٦- الأصفهاني: الأغاني ج ٤ ص ٤٤- والجاحظ: البيان والتبيين ج ١ ص ٣٠٧ .
- ٤٧- المصدران السابقان وشوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول، ص ١٥٠-١٥١ .
- ٤٨- انظر شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ١٤٧-١٥٩ .

- ٤٩- الجاحظ: البيان والتبيين ج ١ ص ٢٧ وما بعدها .
- ٥٠- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ص ١٩٠-١٩١- وراجع الأوراق للصولي (قسم أخبار الشعراء) ص ٣٦ .
- ٥١- الأصفهاني: الأغاني ج ٤ ص ٣٩- وشوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ١٩١ .
- ٥٢- الأصفهاني: الأغاني ج ٤ ص ٣٦- وشعبان محمد مرسى: الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص ٢٠٣ .
- ٥٣- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص ٢٤٧ .
- ٥٤- المرجع نفسه ص ص ٢٤٩-٢٥٠ .
- ٥٥- انظر المقصورة في الديوان، وهي مطبوعة بشرح الخطيب التبريزي في دمشق .
- ٥٦- البغدادي: خزنة الأدب ج ٣ ص ١٠٥- وشوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص ٢٥١ .
- ٥٧- ديوان ابن دريد ص ٢٩ .
- ٥٨- الديوان ص ٨٨ .
- ٥٩- الديوان ص ١٢٣ وما بعدها .
- ٦٠- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، ص ص ٢٥٣-٢٥٤ .
- ٦١- الثعالبي: تيممة الدهر، ج ١ ص ٣٦٣-٣٦٨- والنويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١ ص ١٧٩-١٨٣ .
- ٦٢- ديوان ابن الفارض، ص ٢٢١ .
- ٦٣- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ص ١٩٨-١٩٩ .
- ٦٤- الديوان ص ٣٤٦ .
- ٦٥- القيرواني، ابن رشيق: العمدة ج ١ ص ١٢٠ .
- ٦٦- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص ١٩٩ .
- ٦٧- الدميري: حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٩٦ .
- ٦٨- شعبان محمد مرسى: الفنون الأدبية في العصر العباسي، ص ص ٢٤٥-٢٤٦ .

### المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) ابن حنبل، أحمد . المسند . دار صادر، بيروت .
- (٣) ابن دريد . الديوان . طبعة القاهرة .
- (٤) ابن الفارض . الديوان . تحقيق د . حسين نصار، مصر .
- (٥) ابن قتيبة، الدينوري .
- ١- الشعر والشعراء . تحقيق: د . مفيد قمحة والأستاذ محمد أمين الغناوي . بيروت:
- دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م .
- ٢- عيون الأخبار: دار الكتب المصرية ١٣٤٦هـ/١٩٣٨ م .
- (٦) ابن المعتز . طبقات الشعراء . تحقيق عبدالستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، دار المعارف، بيروت .
- (٧) أبونواس . الديوان . تحقيق: أحمد عبدالحميد الغزالي . بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤ م .

- (٨) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. الأغاني. الطبعة الأولى. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- (٩) أمين، أحمد. ضحى الإسلام. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.
- (١٠) بشار بن برد. الديوان. شرح محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٧٥م.
- (١١) البيهقي، السباعي. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي. مصر: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٥٤م.
- (١٢) البيهقي، الإمام. شعب الإيمان. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- (١٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر.
- ١- كتاب الحيوان. بيروت: مطبعة الحلبي، (بدون التاريخ).
- ٢- البيان والتبيين. تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- (١٤) الحموي، ياقوت بن عبدالله. معجم الأدباء. تحقيق أحمد فريد رفاعي، الطبعة الأخيرة، بيروت.
- (١٥) الدميري، الإمام. حياة الحيوان الكبرى. طبعة بولاق، مصر.
- (١٦) زيدان، جرجي. تاريخ أداب اللغة العربية. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣م.
- (١٧) ضيف، شوقي. ١. تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي. مصر: دار المعارف، ١٩٦٣م. ٢. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول. مصر: دار المعارف، ٣. تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني. الطبعة السادسة، مصر: دار المعارف.
- (١٨) طه، حسين الدكتور. من تاريخ الأدب العربي. مصر: دار الكتب المصرية.
- (١٩) الفاخوري، حنا. الموجز في تاريخ الأدب العربي وتاريخه. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٢٠) فروخ، عمر. تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي). بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- (٢١) القيرواني، ابن رشيقي. العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده. الطبعة الثانية، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٥م.
- (٢٢) مرسي، شعبان محمد. الفنون الأدبية في العصر العباسي. الطبعة الثانية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- (٢٣) مصطفى، محمود. الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨م.
- (٢٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب. نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب، القاهرة.
- (٢٥) يتيمة الدهر في محاسن أهل المصر: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

